Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى الرغم من تصريحه بأنه لن يبقى بعده هجاء يضرّ بأهله ، ويجلب شتم الآخرين لعرضه ، فى قوله :

أَبَى لى «العُبَيْدُونَ» الثَّلاثةُ أَنْ أُرى ... رسِيلَ لَئيمٍ فى المُباذاةِ والقَذْفِ
وأَجبُنُ عن تَعريضِ عِرْضى لجاهِلٍ ... وإنْ كُنتُ فى الإقْدامِ أَطعَنُ فى الصَّفِ
وقال لىَ الأَعداءُ ما أنتَ قائِلٌ ... وليسَ يَرانى اللهُ أَنحتُ من جُرْفِ
وإنِّ لَئيمٌ إنْ تَركتُ لأُسرَتى ... أَوابدَ تَبقى فى القَراطِيسِ والصُّحْفِ(١٤٣)

فإن ما تبقى من أهاجيه ليس بالقليل ، ولكن هذه الوفرة من الأهاجى لا توحى بقدرة كبيرة على التلوين والابتكار فى هذا الفن ، وإن كانت لا تنفى عنه العنف والفحش والقسوة فى الحط ممن يهجوهم .

ويبدو أن هناك خلطاً وقع بين القول بقلة بضاعته فى الهجاء ، والقول بضعفه فى هذا الفن ، ولعله عدّ مقصّراً فى الهجاء استناداً إلى ما تناقله الأقدمون من أن بضاعته فيه كانت قليلة ، على حين يتبيّن أن أهاجيه ليست بالقليلة ، بل هى كثيرة بشكل يلفت النظر ، كما أنه لا يعدّ مقصراً فى الهجاء ، وإن جاز القول إنه ليس بمجدد فى هذا الفن .

وجديد الهجاء لدى البحترى يأتى على صورة شذرات مفرقة ، وأبيات مبعثرة هنا أو هناك ، وقد لا نجد فى ديوانه قصيدة كاملة تمثل مذهباً جديداً فى الهجاء ، أو تشتمل على قدر معقول من المعانى أو الصور الجديدة ، باستثناء قصيدته فى هجاء على بن الجهم ، التى يجوز القول إنها تمثل جديده فى الهجاء ، يقول فى تلك القصيدة(١٤٤) .

يا ثَقيلاً على القُلوب إذا عـ ... ـنَّ لها أَيقَنَتْ بطُولِ الجِهادِ
يا قَذىً فى العُيونِ يا غُلَّةً بَيْـ ... ـنَ التَّراقى حَزَّازةً فى الفُؤادِ

(١٤٣) الديوان ٣ : ١٤٠٠ ، ١٤٠١ .

(١٤٤) هناك شك فى نسبة هذه القصيدة للبحترى ، فقد أشار شارح ديوانه إلى مجيئها فى كتاب التشبيهات ، وفى أمالى القالى منسوبة لابن بسّام ، ووروودها فى جمع الجواهر منسوبة لابن المعتز . ولعل مما يخفف الشك فى نسبتها للبحترى أنها لم تنسب لابن الرومى ، وإن هى وافقت مذهبه ، فضلا عما نعرف من عداء البحترى لعلى بن الجهم ، ولجوئه إلى هجائه فى قصائد أخرى .